الحمد لله الذي خلق الخلائق على اختلاف فِطرها من غير مثالٍ احتذاه ، وكوَّنــها على تبــايُن صورها من غيرِ رسمٍ اقتفاه ، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك لهُ لا يضلُّ من آمنَ بــهِ ولا يخيبُ من رجــاهُ وتوكلَّ عليهِ وتولاَّهُ ، وأشهدُ أنَّ رحمته للعالمينَ محمداً عبدهُ ورسولهُ وخليلــهُ ومصطفــاهُ ومنتَــقاهُ ومُجتباهُ ، صلواتُ الله وسلامهُ وبركاتهُ عليه وعلى آل بيتــهِ وصــحابته والتابعينَ صلاةً سابغةَ الظلالِ يتوالى سحُّ غمامها ويُسفرُ كلَّ بُكرةٍ صبحُ دوامها.

أمَّــا بعدُ عباد الله فأوصيكم ونفسي بتقوى الله تعالى فهي حقُّ الربِّ على العباد ومنــوطٌ بهــا صلاحُ المعاشِ والمعاد قال الله تعالى (وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ).

عباد الله:

وفي الصحيحِ من قصَّــةِ الإسراء والمعراجِ أنَّ النَّــبيَّ صلى الله عليه وسلمَ حين أشارَ عليه موسى عليه السلامُ بمُراجعة ربهِ في فريضة الصلاةِ ففعلَ ذلك مراراً حتى استحيا من ربهِ عزَّ وجلَّ ، فقالَ لهُ جبريلُ بعد ذلكَ (فَاهْبِطْ بِاسْمِ الله) وهذه براءةٌ من جبريلَ أمامَ قدرةِ الله من كل حولٍ وقوةٍ مع أنَّهُ أعظمُ الخلائقِ قدراً إذ آتاهُ الله ستمائةِ جناحٍ واحدُها يسُدُّ ما بين المشرقِ والمغرب ، ولكنَّــهُ مع ذلكَ قال لهُ (فَاهْبِطْ بِاسْمِ الله) فاستيقظَ وهو في المسجدِ الحرام

وكانتِ الدَّعــوةُ إلى التوحيدِ والتذكيرُ بهِ ونسبَــةُ كل توفيقٍ إليهِ عادةً مُحكَــمةً مألوفةً في قول رسول الله صلى الله عليه وسلمَ وفعلهِ عند السراء والضراء ، ففي الصحيح أنَّه –صلى الله عليــه وسلم– كــانَ إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاهُ فِى خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمَنْ مَعَــهُ مِــنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا ثُمَّ قَالَ « اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ فِى سَبِيلِ اللَّهِ).

وفي الصحيحِ أَنَّ رَجُلاً دَخَلَ الْمَسْجِدَ يَوْمَ جُمُعَةٍ وَرَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليــه وســلم– قَــائِمٌ يَخْطُبُ فقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَتِ الأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ فَادْعُ اللَّهِ يُغِثْنَا. فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّــهِ –صلى الله عليه وسلم– يَدَيْهِ ثُمَّ قَالَ « اللَّهُمَّ أَغِثْنَا اللَّهُمَّ أَغِثْنَا اللَّهُمَّ أَغِثْنَا » فَطَلَعَتْ مِــنْ وَرَائِــهِ سَحَابَةٌ عظيمةٌ تَوَسَّطَتِ السَّمَاءَ وهي صحوٌ حينئذٍ فانْتَشَرَتْ ثُمَّ أَمْطَرَتْ أسبوعاً كاملاً لا يــرى النَّاسُ فيه شمساً حتى جاءَ إليه رجلٌ في الْجُمُعَةِ الْمُقْبِلَةِ وهو قَائِمٌ يَخْطُبُ فَاسْتَقْبَلَهُ قَائِمًا فَقَالَ يَــا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَتِ الأَمْوَالُ وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ فَادْعُ اللَّهَ يُمْسِكْهَا عَنَّا فقَالَ صلى الله عليه وســلم « اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلاَ عَلَيْنَا »قال أنس رضي الله عنهُ قَالَ فَمَا يُشِيرُ بِيَدِهِ إِلَى نَاحِيَةٍ إِلاَّ تَفَرَّجَتْ حَتَّــى رَأَيْتُ الْمَدِينَةَ فِى مِثْلِ الْجَوْبَةِ يعني الحفرة الواسعة ، وتأمَّل أنَّ دعاءَ النبي صلى الله عليــه وســلمَ بقولهِ على المنبر فوق رؤوس الأشهاد وهو معلِّمُ التوحيدِ الأعظمُ (اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلاَ عَلَيْنَا) كــان سابقاً لإشارته المعجزة التي فرَّقت غيمَ السماءِ وباعدتهُ ليعلمُ مشاهدُ تلكَ المُعجزةِ وسامعُــها بعدُ أنَّــها ما كانت إلا بأمرٍ من الله تعالى الذي بيده مقاليد السماواتِ والأرضِ.

وفي الصَّـــحيحِ أنَّـــهُ في يوم فتحِ مكةَ جَاءَ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أُبِيحَتْ خَضْرَاءُ قُرَيْشٍ لاَ قُرَيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ ، فَقَالَ النبي صلى الله عليه وسلمَ « مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِى سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ ». فَقَالَتِ الأَنْصَارُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أَمَّا الرَّجُلُ (يعنون رسول الله) فَأَدْرَكَتْهُ رَغْبَةٌ فِى قَرْيَتِهِ وَرَأْفَـــةٌ بعَـــشِيرَتِهِ ، فأوحى الله إليه بما فقال « يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ ». قَالُوا لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « قُلْتُمْ أَمَّا الرَّجُـــلُ فَأَدْرَكَتْهُ رَغْبَةٌ فِى قَرْيَتِهِ ». قَالُوا قَدْ كَانَ ذَاكَ. قَالَ « كَلاَّ إِنِّى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ هَاجَرْتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ وَالْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ » ، وتأمَّل قولهُ صلى الله عليه وسلم (إِنِّى عَبْدُ اللَّـــهِ وَرَسُولُهُ) وما فيهِ من الإشارةِ إلى أنَّ علمهُ الغيبَ المتمثلَ في نجوى بعضهم لبعضٍ إنَّما هو بأمر الله ووحيهِ وقدرته معَ أنَّ صحابتهُ حملةُ التوحيدِ ودعاتهُ وباذلوا أرواحهم في سبيل إعلائه فَأَقْبَلُوا إِلَيْـــهِ يَبْكُونَ وَيَقُولُونَ وَاللَّهِ مَا قُلْنَا الَّذِى قُلْنَا إِلاَّ ضِنًّا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليـــه وسلم– « إِنَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُصَدِّقَانِكُمْ وَيَعْذِرَانِكُمْ» وهذه منقبةٌ لا تنبغي لأحدٍ من العالمين غـــير الأنصار فرحم الله الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار.

وفي الصحيحِ من حديثِ عمرانَ رضي الله عنهُ أنَّـــهُ كانَ والصحابةَ مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفرٍ فشَـــكوا إليه العطَـــشَ فأرسَلَ اثنين من صحابته وقال لهما (اذْهَبَا فَابْتَغِيَا الْمَاءَ) فوجـــداَ امرأةً تحمِلُ على بعيرها مَزادَتَـــي ماءٍ فسألاها عنهُ فقالتْ إنَّـــهُ مسيرةُ يومٍ وليلةٍ فَجَاءَا بِهَا إِلَـــى النَّبِىِّ – صلى الله عليه وسلم – وَحَدَّثَاهُ الْحَدِيثَ فَاسْتَنْزَلُوهَا عَنْ بَعِيرِهَا وَدَعَا النَّبِىُّ – صـــلى الله عليه وسلم – بِإِنَاءٍ ، فَفَرَّغَ فِيهِ مِنْ أَفْوَاهِ الْمَزَادَتَيْنِ ثُمَّ شدَّ أفواهَ المَزادَتين ، وشقَّ أجنابهما ودعـــا النَّـــاسَ إلى الماءِ يشربونَ ويتوضَّـــؤون ويغتسلونَ كلُّ ذلكَ والمرأةُ مشدوهةٌ تنظرُ فلمَّـــا فـــرغَ النَّـــاسُ جمعَ لها النَّـــبي صلى الله عليه وسلمَ طعاماً من عند الصحابةِ وأعطاها إيـــاهُ ثمَّ غـــادرهم ومزادتاها في عينِ الناظرُ أشدُّ امتلاءً مما كانتا عليهِ ، ولكنَّ رسول الله صلى الله عليـــه وســـلم لم يُهمِلْ في هذه الأثناءِ العجيبةِ حمايةَ جناب التوحيدِ فتبرَّأ أمام صحابتهِ وأمام هذه المرأة الغريبة مـــن كل حولٍ وقوةٍ فقال (مَا رَزِئْنَا مِنْ مَائِكِ شَيْئًا ، وَلَكِنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِى أَسْقَانَا) يعني لم ننقص ماءكِ بشيءٍ ولكنَّ الله تعالى تفضَّل علينا بخرقِ العادةِ وزيادة الماءِ حتى استقينا فأسلمتْ هي وقومُـــــها من بعد ذلك رضي الله عنهم أجمعين.

وفي هذا الزَّمَـــنِ الذي تقدَّم فيه الطبُّ تقدما غيرَ مسبوقٍ وانبهرَ بتقدمهِ بعضنا حتى كاد ينسى أنَّ الطبَّ من غير حولِ اللهِ لا ينفعُ شيئاً ، وغفلَ بعضُنا عن قدرةِ الله حتى أصبحَ الاعتقادُ في الشفاءِ مقروناً بكبرياتِ المشافي أو أيدي بعضِ المهرةِ من الأطباءِ ألبَّـــاء ، وتجسَّـــدَ في عـــصرنا أيـــضاً بعضُ الرقاةِ هياكلَ يزعزعونَ توحيد الناسِ ويستجلبونَ يقينهم بممارساتٍ هي أقربُ إلى الـــدجلِ منها إلى الرقيةِ جديرٌ بنا في هذا الحالِ وذاكَ أن نعلمَ أنَّ التوحيدَ ونسبةَ البُـــرءِ والـــشفاءِ إلى الله

والبراءةَ من القدرةِ عليها عقيدةُ صفوةِ الملائكةِ وصفوة الرسلِ عليهم أجمعينَ صلاةُ الله وسلامهُ ففي الصحيحِ عن أم المؤمنينَ الطاهرةِ المُبرَّأةِ من فوقِ سبعِ سماواتٍ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَتْ كَانَ إِذَا اشْتَكَى رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- رَقَاهُ جِبْرِيلُ فقَالَ (بِاسْمِ اللَّهِ يُبْرِيكَ وَمِنْ كُلِّ دَاءٍ يَشْفِيكَ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ وَشَرِّ كُلِّ ذِى عَيْنٍ اللَّهُ يَشْفِيكَ بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ) ويتمثَّلُ النبيُّ صلى الله عليه وسلمَ ذلكَ منهجٍ في مداواةِ القروحِ وتضميدِ الجروحِ بترابِ المدينة المنورةِ الزاكيةِ كما في الصحيح من حديثِ أم المؤمنينَ الطاهرة عائشةَ رضي الله عنها أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- كَانَ إِذَا اشْتَكَى الإِنْسَانُ الشَّىْءَ مِنْهُ أَوْ كَانَتْ بِهِ قَرْحَةٌ أَوْ جَرْحٌ قَالَ النَّبِيُّ -صلى الله عليه وسلم- بِإِصْبَعِهِ هَكَذَا وَوَضَعَ سُفْيَانُ سَبَّابَتَهُ بِالأَرْضِ ثُمَّ رَفَعَهَا وقال « بِاسْمِ اللَّهِ تُرْبَةُ أَرْضِنَا بِرِيقَةِ بَعْضِنَا لِيُشْفَى بِهِ سَقِيمُنَا بِإِذْنِ رَبِّنَا» وهذا من خصائصِ تُربةِ المدينةِ وريقِ رسول الله صلى الله عليه وسلمً العذبِ الزُّلالِ ومن تأمَّل هذا الحديثَ وجدَ البداءةَ في العلاجِ باسم الله والخاتمةَ إقراراً بأنَّ الشفاء لا يكون إلا بإذن الله ولو كان المُداوي رسول الله صلى الله عليه وسلمَ ، هذا في الأمراضِ والقروحِ الظاهرةِ أمَّا في الأعراضِ الباطنَةِ فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلمَ كانَ يرقي من يشكو من ذلك رُقيَةً يفوحُ منها عبَقُ التوحيدِ وأرجُ التسليمِ ونسيمُ الرضى وأنفاسُ التوكل قال عليه الصلاةُ والسلامُ لصاحبهِ عثمانَ بن أبي العاصِ (ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِى تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ وَقُلْ بِاسْمِ اللَّهِ. ثَلاَثًا. وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ)